"التسامح الديني في حضارات الشرق الأدنى رؤى وعناصر التقاء"

.د. عبدالهادي طعمة عفات العتابي
محاضر /كلية التربية/جامعة واسط
الايميل dr.hadi64@gmail.com
رقم الهاتف ٠٧٧٢٣٥٠٦٨٥١

ا.م.د. خالدة حمود سلمان الجبوري
قسم التاريخ/كلية التربية/الجامعة المستنصرية
الايميل drkhaleda74@gmail.com
رقم الهاتف ٠٧٧٠٢٢٧٥٨٤٦

تمهيد

يتناول البحث التسامح في عهد كورش الاخميني مع اليهود ومع ديانات بابل خصوصا عندما اسقط بابل على يده وكيف كانت تتعامل الديانة الزردشتية مع الاديان الاخرى، خصوصا مع الديانة المسيحية ابان الدولة الساسانية وما دور الديانة الاسلامية في التسامح مع الديانات الاخرى، ويربط مع التسامح العام لوقتنا الحاضر.

أن التسامح الديني مطلب إنساني خصوصا التسامح الذي ابداه الملك كورش الأخميني اتجاه المجتمع اليهودي في بابل مما حدى باليهود ان يعدوه بالمخلص او المنقذ الموعود.

شكل تعامل كورش مع المعتقدات الدينية الموجودة في بابل سياسة خاصة بالتسامح لذلك كان مقبولا من كافة دعاة الأديان، لان سياسته كانت الاقرب الى الفِطرة الإنسانية.

تلمست التجارب اللاحقة عند الرومان واليونانيين والساسانيين فضل هذه السياسة التي انتهجها كورش في بابل.

اما التسامح عند الاسلام فقد كانت صفة اتصف بها الرسول محمد بن عبدالله (صلى الله عليه واله وسلم) فعد الاسلام التنوع الإنساني سنة كونية كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (القرآن، سورة الحجرات/ آية 13)، ولا يتحقق التعارف إلا بدلالة الحوار والالتقاء والتفاهم التي هي من شروط التسامح ومتطلباته.

ذكر في القران الكريم: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القرآن الكريم، سورة النحل/ آية 125) لذا فان ثقافة التسامح فضيلة إنسانية إسلامية حث عليها الدين الإسلامي وغرسها في نفوس وضمائر البشر

من أجل التخلي عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية كالكراهية والحقد والضرب والعنف والقلق التي تترك اثاراً هامه في حياة الافراد داخل المجتمع كما في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (القرآن الكريم، سورة الاعراف/آية 199).

وهذا الشيء تُحتّمه ثقافة العولمة ايضا وتحتاج إليه القِيَم الحضارية والمَدنية النبيلة. والمهم هنا أن الإشكال ليس في الأديان ذاتها وإنما لعُقم إفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تعد ولا تُحصى.

تعريف التسامح:

التسامح كلمة مألوفة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية أو الفردية التي تقضي نبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطرق مخالفة، وهو عملية اليات متبادلة بين الاشخاص. واذا اخذ التسامح كعملية نفسية داخلية ستتباين وفقا للاطار الثقافي للفرد وموقفه الحياتي مثل السن والنوع والحالة الاقتصادية والاجتماعية والحالة الصحية والزوجية والعائلية .. الخ (ليديا، ص101، 2015م). والتسامح نقيض التعصب والتشدد، كما إن التسامح كمفهوم يتضمن القدرة على إيقاع العقوبة إلى جانب القرار الواعي بعدم استخدام تلك القدرة (Paul Dumouchel, 1998, p/119).

والتسامح هو تعايش المختلفين بسلام إذا توافر بينهما حدٌّ أدنى من التكافؤ والمساواة، أو القبول بالآخر، فلا يوجد تسامح بين أناس مختلفين في الغرض بينهم ويعني الاحترام، والقبول، والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح، والاتصال، وحرية الفكر، والضمير، والمعتقد، إنه الوئام في سياق الاختلاف (الانصاري، ص71/ 1995م) . ولا يعني المساومة، أو التنازل، أو التساهل، بل التسامح هو قبل كل شيء اتخاذُ موقف إيجابي في إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا (الشيخلي، ص66/ 2017م). ولا يجوز بأي حال الاحتجاجُ بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية. والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذها الأفراد والجماعات والدول.

وممارسةُ التسامح عمل انساني فهي لا تتعارض مع حقوق الإنسان، وهي ليس محلا لقبول الظلم، أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حرٌّ في التمسك بمعتقداته، وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرارَ بأن البشر المختلفين بطبعهم وفي مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحقُّ في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرُهم غيرَهم، وهي تعني أيضاً أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير. (الشيخلي، ص66/ 2017م)

وللتسامح عدة انواع:

منها التسامح الديني والتسامح السياسي والتسامح الفكري و يعد التسامح الديني والسياسي وعلى مر العصور من أبرز جوانب مفهوم التسامح، على الرغم من الاختلاف في الإيديولوجيات الدينية والسياسية التي ادت الى حروب وحملات تطهير كبيرة.

وللتعرف اكثر على التجارب في حقل التسامح نسلط الضوء على تجربة التسامح الذي قام بها الملك الاخميني كورش الكبير وكما هو معلوم قام ملك بابل نبوخذ نصر الثاني في العام 597 ق. م. بمهاجمة اورشليم واحتلالها وقتل ملكها يهوياكيم واخذ بحدود 3000 اسير إلى بابل. وعين على مملكة يهوذا الملك "صدقيا" (جان، ص251/ 2013م) لكنه خلع ولائه مع ملك بابل منحازا الى فرعون مصر مما دعى ملك بابل نبوخذ نصر الى محاصرة يهوذا لمدة 18 شهرا بعدها حاول ملك يهوذا عام 586ق.م. الهرب لكنه قبضوا عليه وقتلوا اولاده امام عينية وفقئوا عينية واخذه اسيرا الى بابل مع اكثر من 40000 الف من الاسرى وتدمير هيكل سليمان وتديمر اورشليم (باقر، ج1، ص550/ 1986م) ويروى العهد القديم قصة الهجوم:

(وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ، وَبَيْتَ الْمَلِكِ، وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ، أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ. وَكُلَّ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ مُسْتَدِيرًا هَدَمَهَا كُلُّ جَيْشِ الْكَلْدَانِيِّينَ الَّذِى مَعَ رَئِيسِ الشُّرَطِ. وَسَبَى نَبُوزَرَادَانُ، رَئِيسُ الشُّرَطِ، بَعْضًا مِنْ فُقَرَاءِ الشَّعْبِ، وَبَقِيَّةَ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا فِى الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبِينَ الَّذِينَ سَقَطُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ، وَبَقِيَّةَ الْجُمْهُورِ. وَلكِنَّ نَبُوزَرَادَانَ، رَئِيسَ الشُّرَطِ، أَبْقَى مِنْ مَسَاكِينِ الأَرْضِ كَرَّامِينَ وَفَلاَّحِينَ.) (سفر، 25: 6-7)

وأدت هذه الأحداث إلى ما يسمى بـ"الأسر البابلى".

الا ان الدكتور احمد سوسة يقول " ان اليهود استفادوا من وجودهم في بابل، فاخذو حضارة البابليين وثقافتهم، واقتبسوا عنهم الكثير من فنون الزراعة والتجارة، واخذوا يمارسون الزراعة التي تعتمد على الري الدائم، بما في ذلك اساليب شق الاقنية والجداول وتطهيرها وطرق الري المختلفة" مما وفر لهم

ذلك اساليب عيش رغيدة فقد استطاع الموسرون منهم ان يجمعوا أمولا طائلة من الذهب والمال التي استطاعوا عند العودة من بناء الهيكل ومدينتهم التي عادوا اليها (عرابي، ص229/ 2006م) . واستطاع انبيائهم امثال النبي "حزقيال" ان لا ينصهر اليهود بالشعب الكلداني انصهارا تاما بسبب ما توفر لهم من عيش رغيد لذا استطاعوا ان يحافظوا على هويتهم الدينية ووجودهم كمجموعة مهاجرة لها خصوصيتها وبقي حلمهم بالعودة إلى وطنهم قائما (عرابي، ص229/ 2006م) .

كان عام 539 ق. م. السنة التي اسقط فيها الملك الاخميني مدينة بابل وهزم ملكها نبونائيد (جان، دليل حضارات الشرق الادنى القديم، ص125)، واستطاع ان يبسط سلطته على المدينة. فرحب به اليهود (كوب، ص128/ 2005م) كمحرر واستشعروا الخلاص بوجوده (كوب، تاريخ مردم ايران قبل از اسلام، ص128/ 2005م) . ومن الاعمال المهمة التي قام بها حين سيطرته على المدينة هي اعلانه عن فك أسر اليهود رسميًا والسماح لهم بالعودة إلى وطنهم مملكة يهوذا (فروخ، ص45/ 2007م). مما دعا الى عودة نحو 42,360 ألف يهوديا إلى يهوذا (عزرا، 2: 64–65). وسمح لهم كورش بإعادة بناء الهيكل في أورشليم ومدهم بالأموال للازمه (كوب، تاريخ مردم ايران قبل از اسلام، ص130/ 2005م).

(هم ذهبوا للسبي ولا شيء معهم وها هم عادوا ومعهم خيل وجمال وعبيد وذهب وفضة وهذه عطايا الله ومراحمه) (عزرا، 2: 65)

وأمر بإعادة الممتلكات التي صادرها نبونائيد إلى اليهود (عزرا، 2: 64–65).

والفلسفة التي تبنها كورش الكبير في سياسة التسامح الجديدة هي تأكيد حرية وكرامة الشعوب لأنه ادرك من خلالها ان القائد الذي يمكن شعبه من ذلك يحظى بثقتهم وحبهم له، لذلك أسس كورش إمبراطورية امتد حكمه فيها من الخليج الفارسي إلى بحر ايجه في اسيا الصغرى (كوب، تاريخ مردم ايران قبل از اسلام، ص130/ 2005م).

حصل كورش الكبير كثير من الاطراء في المصادر اليهودية, وما يشار الى ان النبي حزقيال قام في عام 593 ق.م في بابل في وعظ الشعب اليهودي حاثا اياه بالعودة الى القدس و اعادة بناء هيكل سليمان

و مواصلة عبادة الإله يهوه (Abbott, p11/ 2009), وتذكر العبارات في سفر اشعياء فقرات معينة من أسطوانة كورش (بريان، ج1،ص133), إذ جاء في الاصحاح النص التالي:

(«أنصتِي إِلَيَّ أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ وَلْتُجَدِّدِ الْقَبَائِلُ قُوَّةً.

لِيَقْتَرِبُوا ثُمَّ يَتَكَلَّمُوا. لِنَتَقَدَّمْ مَعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. مَنْ أَنهَضَ مِنَ الْمَشْرِقِ الَّذِي يُلاَقِيهِ النَّصْرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ؟ دَفَعَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَعَلَى مُلُوكٍ سَلَّطَهُ. جَعَلَهُمْ كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ، وَكَالْقَشِّ الْمُنْذَرِي بِقَوْسِهِ. طَرَدَهُمْ. مَرَّ سَالِمًا فِي طَرِيق لَمْ يَسْلُكْهُ بِرِجْلَيْهِ. مَنْ فَعَلَ وَصَنَعَ دَاعِيًا الأَجْيَالَ مِنَ الْبَدْءِ؟ أنا الرَّبُّ الأَوَّلُ، وَمَعَ الآخِرِينَ أنا هُوَ») (اشعياء، الاصحاح41، الآيات 1-4)

يتضح من ذلك انه حصل تحالفا بين متبنيات كورش والإله يهوه, وهذا يوضح بأن كورش تم اختياره من قبل الإله يهوه كما ادعى عند دخول بابل وبأنه جاء من قبل مردوخ اله بابل (بريان، ج1،ص133؛ اشعياء، الاصحاح41، الآيات 1-4).

فضلاً عن ذلك ذكر كورش في نصوص مفصلة في كتاب التوراة و بشكل مخصوص في كتاب عزرا و اشعياء بأن الإله يهوه إله السموات سخّر كورش ملك فارس لينقذ اليهود في بابل.

ومن أبرز الأحداث التي خلدت سياسة كورش هو اصداره ميثاق لحقوق الإنسان دون على اسطوانة فخارية سميت اسطوانة كورش، والذى تضمن أفكاره حول حقوق الأمم والشعوب الخاضعة لحكمه، مما أكسبه شهرة على مر التاريخ. قد بينت الاسطوانة امورا مهمة منها حرية الاعتقاد واعتناق الاديان والعبادة للجماعات والآثنيات المتنوعة للشعوب التي عاشت في ظل الإمبراطورية الأخمينية. وأكدت حق عودة من نُقلوا إلى بابل كأسرى حرب إلى ديارهم. وكان اليهود من بين تلك الجماعات التي أُذن لها بالعودة، حتى إن الإمبراطور قدم لهم الدعم المالي والسياسي حتى يعودوا إلى أرضهم ويعيدوا بناء الهيكل في مدينة أورشليم)حضرت2013 ,م(.

اذن كورش لليهود الذين امضوا سبعون عاما من الاسر البابلي بالعودة الى القدس واعادة بناء مدينتهم والمعبد (Abbott، 2009 /P17)، وكما ذكر تعدادهم بحدود اثنان واربعين الف شخص الى جانب

ارجاع كل اثاث معبد اورشليم الذي قام بإخذه الملك نبوخذ نصر الثاني من هيكل سليمان, اما اشعياء فقد لقب كورش بالمسيح والمنقذ الموعود لليهود (دهقان، ص56) إذ ذكر في الاصحاح:

(هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ «أنا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ. أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. [3]وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ، لِكَيْ تَعْرِفَ أني أنا الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلهُ إِسْرَائِيلَ) (اشعياء، الاصحاح45، الآيات 1-3)

فكان تبني كورش للتسامح واحترام معتقدات الآخرين وتقاليدهم وأعرافهم ركائز مهمة في سياساته، مما أكسبه احترام وتقدير كافة الشعوب الخاضعة لحكمه وضمن استقرار إمبراطوريته. وبذلك قدم كورش نفسه على أنه محرر الشعوب وليس غاز. لم يرغم الشعوب التي أخضعها لحكمه على تغيير دياناتها أو معتقداتها، مثل السماح لليهود بالعودة إلى موطنهم الأصلي "يهوذا" ومساعدتهم على إعادة بناء الهيكل فى أورشليم. فقد سعى إلى إرساء الاستقرار السياسي والنظام والسلام في إمبراطوريته المتنامية الأطراف والتي تتسم بتنوع سكاني واثني وعقائدي واسع (com/history/cyrus/cyrus.php)

لذا ان زعماء اليهود كانوا يعدون كورش هو مسيح اليهود الذي أنقذهم من ملوك بابل و ارجعهم الى اورشليم (Jerusalem) (راوندي، ج1، ص386)

كما جاء في كتب العهد القديم أن النبي دانيال احد اليهود الذين اخرجوا في السنة الثالثة لحكم الملك بيل- شار- اوصر, أنه رأى منام في شوش (سوسه) نعجة ذات قرنين على بابها فنطحت في اتجاهات متعددة نحو الشرق و الشمال و الجنوب و لا يمكن لأي شخص من الصمود امامها, فجاء وعل تمكن من كسر قرني النعجة و عند كسر قرنها الكبير ظهرت اربعة قرون اخرى في مكانه, يقول دانيال: نزل جبرائيل علي وقال لي: النعجة التي كانت لها قرنان هي ملوك ميديا و فارس و الوعل هو ملك ياوان و القرون الاربعة التي خرجت من راسه هي الشعب الذي يولد من شعوبه (المقدس، ص677/ 1380)، وفي رأي اليهود ان كورش الكبير هو الشخص الذي ارسل لكي يرجعهم الى اورشليم حيث هيكل سليمان (شاندور، ص 271), لذا عندما فتح كورش بابل في سنة 539 ق.م استقبله اليهود بحفاوة كأنه هو

الشخص الذي ارسل الاله كي يتمم رسالة ارميا و يرجع اليهود الى اورشليم(Jerusalem) (شرشال، ص17/ 1384ش) , وفعلاً عمل كورش في السنة الاولى لحكمه على ارجاع اليهود الى بلادهم و امر ببناء معابدهم في اورشليم.

في سنة 537 ق.م امر كورش بإرجاع اليهود و تجديد بناء اورشليم (Jerusalem), لذا كان اغلب الشعب اليهودي في بابل حريصا على العودة. فتجمع اغلب اليهود هناك، مع كل الكنوز التي سُمح لهم بأخذها، و المواد التابعة والأمتعة والخيول والبغال، وغيرها من الحيوانات التي تحمل اثقالهم وتحركوا في مسيرة كبيرة. كان العدد على بعض التقديرات ما يقارب تسعة وأربعون ألفًا. معهم سبعمائة أو ثمانمائة حصان، وحوالي مائتين وخمسين بغل، وحوالي خمسمائة من الجمال. ومع ذلك، فإن الجزء الرئيسي من أمتعتهم ومتاجرهم كانت تحملها الحمير. فكانت مسيرة هذا العدد الكبير من الأسر – رجالًا ونساءً وأطفالًا – مثقلين بأشيائهم أثناء عودتهم، بالأدوات لحياتهم الاجتماعية ، كانت واحدة من أروع الأحداث في التاريخ (Abbott، 2009 /P17)

عند وصول القافلة الى مدينتهم بدأ الناس على الفور بإصلاح جدران المدينة وإعادة بناء الهيكل. واقاموا احتفالا كبيرا عندما تم وضع أسس المعبد، فكان الاحتفال يمثل مشهدًا رائعًا للسكان، على الرغم من ان الناس لم يروا مدينتهم بعظمتها السابقة، لكنهم شعروا بالبهجة والسعادة في إعادة تأسيس بناء آبائهم في المدينة. وكانوا يتطلعون إلى مواصلة العمل بكل فخر وسرور.

وكان الرجال المسنون الذين شاهدوا الهيكل السابق، ممتلئين بذكريات حزينة من أيام من الفزع في مرحلة الطفولة، من جراء ما تعرضوا له في السابق . فكانوا يعبرون عن حزنهم والأسهم مرة ، وعن فرحهم وسرورهم مرة اخرى بصرخات ممزوجة بالفرحة على ما مر بهم وما الوا اليه (Abbott، /P118) 2009

واجه اليهود معوقات مختلفة، وقابلوا معارضة شديدة في محاولاتهم لإعادة بناء مدينتهم القديمة، عند إعادة وضع الفسيفساء في اماكنها(Abbott، 2009 /P19)

ان ما قام به كورش من اعادة كل الصحون الفضية و الذهبية التي جلبها نبوخذ نصر الثاني من معابدهم (كيرشمن، ص141) , كما جاء في الاصحاح عن رجوع الادوات التي جلبها الملك نبوخذ نصر الثاني من اورشليم الى بابل كان له اثر بالغ في نفوسهم لانهم كانوا يعدون تلك المقتنيات رمز محبتهم للإله يهوة وكنوز من كنوز الهيكل لذا جاء في اصحاحهم ان الملك كورش :

(وَالْمَلِكُ كُورَشُ أَخْرَجَ أَنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي أَخْرَجَهَا نَبُوخَذْ نَاصَّرُ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ آلِهَتِهِ أَخْرَجَهَا كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ عَنْ يَدِ مِثْرَدَاتَ الْخَازِنِ، وَعَدَّهَا لِشِيشْبَصَّرَ رَئِيسِ يَهُوذَا. وَهذَا عَدَدُهَا: ثَلاَثُونَ طَسْتًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْفُ طَسْتٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَتِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ سِكِّينًا، وَثَلاَثُونَ قَدَحًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَقْدَاحُ فِضَّةٍ مِنَ الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَعَشَرَةٌ، وَأَلْفٌ مِنْ أَنِيَةٍ أُخْرَى. جَمِيعُ الأَنِيَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَمْسَةُ آلاَفٍ وَأَرْبَعُ مِئَةٍ. الْكُلُّ أَصْعَدَهُ شِيشْبَصَّرُ عِنْدَ إِصْعَادِ السَّبْيِ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ) (الكتاب المقدس, عزرا, الاصحاح الاول, الآيات 7- 11).

وقد دون ذلك كما اسلفنا في اسطوانة كورش وقام ايضا بمساعدتهم بعد رجوعهم بتعمير بيت الرب فضلا عن تحمله كل تكاليف سفرهم من خزينة المال الملكي الاخميني الذي كان تحت اشراف ميثرادات امين اموال كورش و ساروا الى اورشليم الى وطنهم و بعدها اخذت القوافل كل يوم بالذهاب و الاياب بين بابل و اورشليم (Jerusalem) (بيرينا، ج1،ص 402)

جاء في سفر عزرا رجع ما يقارب 40000 الف نفر من قبائل اليهود المختلفة الى اورشليم, بإشراف زروبابل (zerubabel) (الكتاب المقدس، عزرا), وشيوعه بن يو صادق الكاهن الكبير الذي كان زعيم احد الجاليات اليهودية (كيرشمن، ايران اسلام از اغازتا، ص141) هذا الأمر يدل على سياسة كورش التي ترمي الى تهدئة الشعب اليهودي من جهة, ومن جهة اخرى كانت سياسة ذات ابعاد استراتيجية, لأنه كان ينظر الى فلسطين كموقع جيد للعبور الى مصر او الوصول اليها (لوي، ص224- 226/ 1334 ش) , وإن هذه السياسة تجاه اليهود كانت سبيلا جيدا للوصول الى مصر في المستقبل (گيرشمن، ص ص141- 142).

واعتقد بعض المؤرخون أن إحدى غايات كورش من السماح لليهود بالعودة إلى يهوذا هي استعمالهم كحاجز بين أراضيه وأراضي المصريين (جايكوب، ص222/ 1990م)

ويعتقد اخرون ان خطة كورش في تحرير اليهود كانت وفق سياقات مدروسة لها ابعادها السياسية, ربما كانت مقاصده إنشاء قاعدة و معبر للإغارة على مصر, إذ كان يرى من تحرير اليهود

منفذاً لفتح مصر, ولم تكن هذه الخطة وليدة تطور الاحداث و إنما كانت خطة مبيته لها ابعاد استراتيجية (دياكانوف، ص108), لذا كان تصميمه هو إعادة تأسيس هذه الأمة لتكون حاجز بينه وبين السلطات المصرية. لان المصرين والكلدانيين كانوا منذ فترة طويلة أعداء اقوياء له، وبعد أن سيطر كورش على بلاد بابل، لم يبقى امامة الا القوة المصرية فكان تخطيطه كيفية استيعاب هذه الاقوام وجعلهم مصدا ضد القوة المصرية من جانب الشرق، لأنه مُلزم بالدفاع عن نفسه ضد الخصوم (Abbott، 2009 /P17) . يبدو من خلال ذلك أن كورش كان رجلاً سياسياً حاذقاً لأنه لم يكن على غفلة من هكذا امر بسبب موقع فلسطين المؤدي الى مصر الدولة التي لم يتم فتحها بعد, مستفيداً من العلاقة التي تربط الدين بالسياسة وكيف تأثرت تلك الاقوام بالدين (رضي، ص116/ 1343ش), ونجح كورش في استقطاب رجال الدين والنخب المحلية وإدماجهم في النخبة الحاكمة الجديدة. فضلاً عن ذلك كان هدف كورش الأخر من ارجاع اليهود هو الوصول الى ساحل نهر النيل من اجل إيصاله بالبحر الاحمر لكي يصله هو الاخر بالخليج العربي (الاسفل), الا أن هدفه لم يتحقق في حياته بسبب موته المفاجئ, فاكمله ابنه قمبيز الثاني من بعده (دهنوى، ص164) .

إن تقدير كورش من قبل اليهود قد اوحى للكثير بأن كورش من اليهود على الرغم من أن كورش حرر اليهود و ارجعهم الى أوطانهم وعدوه هو منجيهم إذ لم يحمد كورش في اي كتاب ديني سوى التوراة فضلاً عن ذكره بزمرة الأنبياء (وشي، ص58).

التسامح في الدين الاسلامي

منذ اعلان الدعوة الاسلامية على يد النبي المصطفى محمد بن عبدالله (صلى الله عليه اله وسلم) كان المبدأ الاول فيها (لا أكراه في الدين). (القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 256)

والفرق بين التعصب والتسامح في الاسلام، هو ان التعصب والتسامح له مجال معين، وليس من مجال التعصب والتسامح مجال العقيدة، أو المفاهيم التي تستقر في قلب الإنسان، فهذه الأمور لا يوجد فيها تعصب ولا تسامح، حتى عند الا دينيين فإنهم يسمونها حرية الاعتقاد، فكل واحد حر يعتقد بقلبه ما شاء عندهم، لكن التعصب والتسامح له منطقة معينة وهي: منطقة المعاملة، فتكون متعصباً إذا ظلمت أحداً، أو بخسته حقه، أو آذيته بدون وجه حق. (المقدم، ج4/ ص186)

عاشت اغلبية المكونات الدينية في ظل الاسلام افضل حياة واكرمها. وكان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الإسلامية بدرجة كبيرة

من التسامح. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضية عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير. ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان؛ ولا تفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها اثنين ونصف في المائة من الدخل السنوي، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم، ولم تكن تُقبل شهادتهم في المحاكم الإسلامية، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم، وكان تسامح الحكام المسلمين معهم يختلف باختلاف الأسر الحاكمة، وكان التعامل معهم باللين بوجه عام. وظلت الكنائس المسيحية في مصر تتمتع في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالميزات التي منحتها إياها الحكومة البيزنطية قبل الفتح العربي. أما اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين (ول ديورانت، ج13، ص130-131/ 1408هـ - 1988م)

ولم تكن علاقات اليهود مع المسلمين سيئة في الأيام الأولى من مجئ الرسول إلى يثرب. رأت جمهرة من اليهود أن الإسلام دين اعترف بالأنبياء، وأنه دين توحيد وفي جملة أحكامه قريب من أحكام ديانتهم وقواعدهم، وأنه يناهض الأوثان، وقد أشاد بفضل بني إسرائيل وبتفوقهم على غيرهم بظهور الأنبياء من بينهم، ثم إن قبلته إلى القدس، وقد تسامح معهم فأباح للمسلمين طعام أهل الكتاب. وهو دين اعترف بأبوة إبراهيم للعرب، وجعل سنته سنة له. وقد تسامح معهم وحفظ ذممهم، فلم تر في انتشاره بين أهل يثرب ما يضيرهم شيئًا أو يلحق بهم أذى، ولذلك أظهرت استعدادها لعقد حلف سياسي مع وقوفها موقف ود منه أو موقف حياد على الأقل، على ألا يطلب منها تغيير دينها وتبديله والدخول في الإسلام.

ولما دخل أهل يثرب في الإسلام أفواجا، وتوجه المسلمون إلى اليهود يدعونهم إلى الدخول فيه وإلى مشاركتهم لهم في عقيدتهم باعتبار أنهم أهل دين يقول بالوحي ويؤمن بالتوراة، وبرسالة الرسل، فهم لذلك أولى بقبول هذه الدعوة من الوثنيين، أدركت جمهرتهم أن الإسلام إذا ما استمر على هذا المنوال في المدينة من التوسع والانتشار ومن توجيه دعوته إلى اليهود أيضًا، فسيقضي على عقيدتهم التي ورثوها وهي عقيدة لا تعترف بقيام نبي من غير بني إسرائيل ولا بكتب غير التوراة والكتب التي دونها علماؤهم، ثم هم يرون أن النبوة قد ختمت ولن يكون المسيح إلا منهم، فكيف يعتقدون بنبي عربي وهو من الأميين؟

وقد رفض اليهود الدخول في الإسلام، وأبوا تغيير دينهم، ودافعوا عن عقيدتهم وتمسكوا بها، ورفضوا التسليم بما جاء في رسالة الرسول من أن الرسول نبي أرسل للعالمين كافة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن كتاب مصدق من الله، وأن أحكامه مؤيدة لما جاء في التوراة ناسخة لبعضها. وقد جادلوا في ذلك، وانبرى أحبارهم للدفاع عن عقيدتهم ولمجادلة من يأتي إليهم من المسلمين لأقناعهم في الدخول في الإسلام. وفي القرآن الكريم صور من جدلهم هذا ومن محاجتهم الرسول في دعوته، كما نجد مثل ذلك في الحديث النبوي وفي كتب السير. (جواد، ج12،ص120-121/ 1422هـ- 2001م)

مؤشرات التسامح

وللتسامح موشرات كثيرة منها قبول الفرد الآخر واحترام الرأي ووجهات النظر. والتقدير للصفات الايجابية لدى الغير و السيطرة على المشاعر الشخصية. كما ويعني احترام الحقوق و البحث عن الاهتمامات المشتركة واحترام الأعراف الاجتماعية للآخرين. ويجب التصرف بمسؤولية إزاء الاراء الاخرى للمحافظة على التوازن بين التنافس والتعاون. ومن المؤشرات ايضا الانفتاح على طرائق جديدة في التفكير و الاعتراف بالأخطاء الشخصية وتقدير صفات الشريك ليتسنى العمل مع جميع الأطراف المنغمسة في الموقف لمحاولة إيجاد التسويات و احترام قيمة التنوع والاختلاف ومحاربة جميع أشكال عدم التسامح و نبذ العنف والإكراه لكي يعيش العالم بجو متناغم.

مجالات التسامح

وللتسامح مجالات كثيرة منها التعددية لمجتمع متعدد ومتنوع وفق النوع الاجتماعي والعرق والثقافة الاجتماعية والدين واللون والطبقة الاجتماعية والعمر والمهنة والتخصص والجنسية ومكان الاقامة واللون واللغة . وكذلك من مجالات التسامح هو التعارف فيجب ان يكون الاختلاف والتنوع دافع الى التسامح والتعارف والتعاون من اجل تحقيق الاتزان الاجتماعي والمصالح الاجتماعية ليؤدي الى التعايش الذي يعد الركيزة الاساسية للتسامح فلا يمكن التعايش في غياب التسامح ولا يكون التسامح من دون الحرية فهي اهم قيم التسامح التي يجب ان تسايرها العدالة لان قيم التسامح لا تكتمل من دونها ومن يعتقد بان التسامح كمبدا عمل لابد ان يقبل بالمساءلة لان المساءلة صمام الامان لسير العملية وفق نظام قيم التسامح لينال الافراد حقوقهم بشكل مرضي تحت ضوابط التعددية والديمقراطية والإنصاف وحكم القانون ونبذ الاستبعاد ويعنى التسامح الغفران بالاختلاف بين الناس. (سليمان، https://borhansoliman.com)

قائمة الهوامش

1. com/history/cyrus/cyrus.php. (بلا تاريخ).
2. Jacob Abbott. (p11/ 2009). *Cyrus the Great*. NEW YORK AND LONDON.
3. ory/cyrus/cyrus.php. (بلا تاريخ).
4. ابو حسن دهقان. (ص56). *سياست ازاد منشانه كورش بزرك نسبت به اديان* .
5. أبوت، جايكوب. (ص222/ 1990م). *كورش الكبير*. نيويورك: هاربر أند براذرز.
6. اشعياء. (الاصحاح41، الآيات 1-4). *الكتاب المقدس الاصحاح*.
7. آشنايي با اسرائيل. (29سبنتمبر/2013م). *حضرت كوروش منجى يهوديان؛ http://iranwire.com/blogs/6264/2867*. ايران واير.
8. البر، شاندور. (ص 271). *كورش كبير*.
9. الكتاب المقدس، سفر عزرا. (بلا تاريخ). الاصحاح الثاني. تأليف *و من هؤلاء القبائل هم بنو فرعوش و كان عددهم الفان و مئة و اثنان و سبعون, و بنو شفطيا وعددهم ثلاث مئة و اثنان و سبعون, و بنو ارح سبع مئة و خمسة وسبعون, و بنو فحث مؤاب, من بني يشوع ويواب الفان و ثمان مئة واثنا عشر, و بنو عيلام, و بنو زتو, و بنو زكاي, و بنو .*
10. الكريم القرآن. (سورة الحجرات/ آية 13).
11. الملوك الثاني سفر. (25: 6-7).
12. بتول،رياحني، دهنوى. (ص164). *تحليلي بر اهداف نظامي كوروش و نكهداري مرزهاي مبراتوري اش در اسيا*.
13. بهرام، فره، وشي. (ص58). *ايرانويج*.

14. بير بريان. (ج1،ص133). *تاريخ امبرتوري هخامنشيان،وهي الاسطوانة الطينية المفخورة والتي كتب كورش عليها تعاليمة وتعد البرهان الحى على أن كورش كان من بناة الأمن والاستقرار ورسول السلام في العالم .*

15. تيمو بربار شاندرة ليديا. (ص101، 2015م). *معنى التسامح في سياق موقفي وثقافي ونوعي من كتاب التسامح النظرية والبحث والممارسة. القاهرة: المركز القومي للترجمة.*

16. برهان سليمان، ثقافة التسامح والاعتدال . (بلا تاريخ).https://borhansoliman.com

17. حبيب، لوي. (ص224- 226/ 1334 ش). *تاريخ يهود ايران ، جلد دو.* تهران: انتشارات يهودا بروخيم.

18. حسن، بيرينا. (ج1،ص 402). *تاريخ ايران باستان.*

19. دي شاي ريموند بلوش جان. (ص125). دليل حضارات الشرق الادنى القديم. تأليف زرين كوب عبدالحسين، *تاريخ مردم ايران قبل از اسلام ، جاب نهم، ص128/ 2005م* (صفحة بعد موت نبوخذ نصر حصلت مشاكل حول وراثة العرش وبقيت هذه المشاكل معلقة حتى مجيء نابونائيد وهو ابن احدى كاهنات معبد الاله سين (القمر) في حران الذي جاءت به احدى العشائر نتيجة الصراع والتنافس الذي دار بين مختلف الكهنة او رجال الدين في بابل !. وكان نبونائيد يفض). تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير.

20. دي شاي ريموند بلوش جان. (ص251/ 2013م). دليل حضارات الشرق الادنى القديم. تأليف ترجمة، الطريحي، سهى محمد حسن، *احدى القبائل او الاسباط اليهودية في جنوب فلسطين وحول "حبرون" وبعد تأسيس الدولة اليهوسليمان وفضلهم على باقي الاسباط وكانت اسرائيل تتكون من مملكتين وولائها الى عرش واحد. وبعد موت سليمان في 933 قزم اصبح الانفال بينهما نهائيا .وبقيت يهوذا قائمة لحد تهديم القدس* (صفحة ص251). بغداد: دار الجواهري.

21. دياكانوف. (ص108). *تاريخ ماد.*

22. رجاء عبدالحميد عرابي. (ص229/ 2006م). *سفر التاريخ اليهودي*. سوريا: ط2، الاوائل للنشر والتوزيع.

23. رضي. (ص116/ 1343ش). *دين قديم ايراني، بدون جاب*. تهران: انتشارات فروهر.

24. طه، باقر. (ج1، ص550/ 1986م). *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة*. بغداد: ط2، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية.

25. عبدالحسين، زرين كوب. (ص128/ 2005م). تاريخ مردم ايران از اسلام، جاب نهم. تأليف *بعد موت نبوخذ نصر حصلت مشاكل حول وراثة العرش وبقيت هذه المشاكل معلقة حتى مجيء نابونائيد وهو ابن احدى كاهنات معبد الاله سين (القمر) في حران الذي جاءت به احدى العشائر نتيجة الصراع والتنافس الذي دار بين مختلف الكهنة او رجال الدين في بابل !. وكان نبونائيد يفض*. تهران : مؤسسة انتشارات امير كبير.

26. عبدالحسين، زرين كوب. (ص128/ 2005م). *تاريخ مردم ايران قبل از اسلام*. تهران: مؤسسة انتشارات .

27. عبدالقادر الشيخلي. (ص66/ 2017م). *ثقافة التسامح ضرورة اخلاقية واجتماعية وسياسية*. الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

28. عزرا. (2: 64-65). *العهد القديم؛ http://bible.oremus.org/?passage=EZRA*.

29. علي (ت 1408ه) جواد. (ج12،ص120-121/ 1422ه- 2001م). *المفصل في تاريخ العرب قبل بالاسلام*. بغداد: دار الساقي.

30. كافية فروخ. (ص45/ 2007م). *ظلال في الصحراء – فارس القديمة في وقت الحرب*. أكسفورد، الولايات المتحدة البريطانية.

31. كتاب المقدس. (ص677/ 1380). *عهد عتيق عهد جديد- ترجمة: فاضل خان همداني و ديكران جاب اول*. تهران: انتشارات اساطير.

32. كيرشمن. (ص141). *ايران از اغازتا اسلام* .

33. كيرشمن. (ص141). ايران اسلام از اغازتا. تأليف محمد جواد مشكور، *ايران در عهد باستان، زوروبابل: امير من اسرة النبي داود (عليه السلام) اصبح ملكاً على بلاد يهودا من قبل كورش الكبير* (صفحة ص177).

34. ليديا ،تيمو ،بربارا،شاندرة. (ص101/ 2015م). *معنى التسامح في سياق موقفي وثقافي ونوعي من كتاب التسامح النظرية والبحث والممارسة*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

35. محمد احمد اسماعيل المقدم. (ج4/ ص186). *تفسير القرآن الكريم*.

36. محمد جابر الانصاري. (ص71/ 1995م). *مفهوم التسامح في الثقافة الاسلامية وانعكاساته على تربية الاطفال*. الكويت: الكتاب السنوي العاشر للجمعية الكوتيية لتقدم الطفولة العربية الطفولة في مجتمع عربي متغير.

37. مرتضى، راوندي. (ج1، ص386). *تاريخ اجتماعي ايران*.

38. هومن، شرشال. (ص17/ 1384ش). *فرزندان استر– ترجمة: مهر ناز نصريه* . تهران: جاب اول، انتشارات كارنك.

39. ويليام جميس (ت1981م) ول ديورانت. (ج13، ص130–131/ 1408هـ – 1988م). *قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين*. بيروت. لبنان: دار الجيل – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.